Journal of Libyan Academy Bani Walid 2026
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
Volume 2, Issue 1, 2026, Pages: 273-289
Website: https://journals.labjournal.ly/index.php/Jlabw/index

Exile Between the Self and Place in Libyan Classical Poetry

Nisreen Abdulkarim Alhadi *
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Al-Zaytuna University, Tarhuna, Libya.
*Email: alalyenisraen@gmail.com

الغربة بين الذات والمكان في الشعر الكلاسيكي الليبي

نسرين عبدالكريم الهادي *
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الزيتونة، ترهونة، ليبيا.

Received: 09-11-2025	**Accepted:** 28-12-2025	**Published:** 17-01-2026
Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract

This research examines the phenomenon of alienation in classical Libyan poetry, viewing it as a human and artistic experience linked to the social, political, and psychological transformations experienced by Libyan poets. Alienation in this poetry is not limited to the physical distance of being away from one's homeland; it extends to include the psychological and emotional alienation resulting from a feeling of isolation and loss of belonging.

This research seeks to uncover manifestations of alienation in poetic texts by analyzing their themes, artistic imagery, and expressive language, while also identifying the most prominent factors that contributed to shaping this feeling. The research also highlights the role that alienation played in deepening the poetic experience and enriching the classical Libyan discourse as an active element in expressing the suffering of the self and its struggle with reality, and the poet's attempt to restore psychological and emotional balance through poetic expression.

Keywords: Exile, Nostalgia, Libyan Classical Poetry, Self-Alienation.

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة الغربة في الشعر الكلاسيكي الليبي ، بوصفها تجربة إنسانية وفنية ارتبطت بالتحولات الاجتماعية والسياسية والنفسية التي عاشها الشاعر الليبي ، ولا تقتصر الغربة في هذا الشعر على البعد المكاني المتمثل في الابتعاد عن الوطن ، بل تتسع لتشمل الغربة الذاتية الناتجة عن الإحساس بالعزلة وفقدان الانتماء ، ويسعى البحث إلى الكشف عن تجليات الغربة في النصوص الشعرية ، من خلال تحليل مضامينها و صورها الفنية و لغتها التعبيرية ، مع الوقوف على أبرز الدوافع التي أسهمت في تشكيل

هذا الشعور ، كما يبرز البحث الدور الذي أدته الغربة في تعميق التجربة الشعرية وإثراء الخطاب الشعري الليبي ، بوصفها عنصراً فاعلاً في التعبير عن معاناة الذات و صراعها مع الواقع ، ومحاولة الشاعر استعادة التوازن النفسي و الوجداني عبر القول الشعري.

الكلمات المفتاحية: الغربة – الحنين – الشعر الكلاسيكي الليبي – الاغتراب الذاتي.

المقدمة

تُعد الغربة من أبرز القضايا الإنسانية التي كانت حاضرة وبقوة في الشعر الكلاسيكي الليبي ؛ لما تحمله من دلالات نفسية ووجدانية تعبر عن معاناة الإنسان في مواجهة ما يعصف به من شعور بالحنين والفقد والابتعاد ، فقد عبّر الشعراء عن تجاربهم مع الغربة في سياقات متنوعة تحمل في مجملها شعوراً بالأسى والحزن ؛ نتيجة لما فرضته بعض الظروف السياسية من نفي وإقصاء .

ولم تقتصر الغربة في الشعر الكلاسيكي الليبي على بعدها المكاني ، بل تجاوزته إلى أبعاد نفسية ووجدانية عميقة ، تمثلت في الشعور بالاغتراب عن الذات والمجتمع ، والحنين الدائم للوطن ، وقد تميزت نصوصهم الشعرية - في الغالب - بصدق العاطفة وقوة الشعور لأنها نابعة من تجاربهم الحقيقية .

وتنبثق مشكلة البحث من التساؤل التالي : كيف تمثلت ظاهرة الغربة في الشعر الكلاسيكي الليبي؟ وما أبرز أبعادها النفسية والفنية ؟ ويتفرع من هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية لعل أهمها : ما أشكال الغربة التي عبّر عنها الشعراء الليبيون ؟ ما الخصائص الفنية والسمات الأسلوبية التي وظفها الشعراء للتعبير عن شعورهم بالغربة ؟ ما الأسباب التي تدفع الشعراء بالشعور بالاغتراب عن ذويهم واهليهم ؟

أما الهدف من الدراسة فيتمثل في رصد مظاهر الغربة في نماذج مختارة من الشعر الكلاسيكي الليبي ، والكشف عن مواطن الجمال والإبداع وتتبع الدلالة النفسية والوجدانية لتجربة الشاعر ، ومن ثم تحليل الأساليب اللغوية والفنية التي اعتمدها الشعراء في تصوير احاسيسهم تجاه مرارة الغربة ووحشتها ، وتعتمد الدراسة في تحيق ذلك بالكيفية العلمية المطلوبة على المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يعتمد على وصف الظاهرة وتحليلها تحليلاً فنياً موضوعياً ، لبيان القيمة الجمالية والدلالة الفنية للنصوص الشعرية .

المبحث الأول: مفهوم الغربة وتجلياتها النفسية :

إن الغربة في مفهومها العام تعني الابتعاد عن أرض الوطن ، وغالباً ما يكون هذا الابتعاد بشكل قصري ، فإن اضطر الشاعر إلى ترك أرض الوطن فإنه يكون مغترباً و" الغربة الاغتراب تقول تغرب واغترب بمعنى فهو غريب وغرب بضمتين والجمع غرباء والغرباء أيضاً الاباعد "[1]، فإن غادر الإنسان وطنه، فإنه يغادره حاملاً معه ذكرياته ومشاعره وعواطفه، الممزوجة _غالباً_ بالحزن والأسى، فيبث هذه المشاعر في ثنايا أشعاره، ولكن " ظاهرة الغربة في الشعر لا تتولد من الجزئيات والتفاصيل، وإن كانت تسهم في بلورتها، بل تتولد من علاقة التأزم القائمة بين الشاعر والكون المحيط به، فهي ترتبط دوماً بالغربة والحزن وتبعث في بعض الأحيان إلى التذمر والإحباط؛ لأنها تجسد الانهيار الذي يعجز الشاعر عن التحكم فيه أو ترميمه "[2]

فحينما يجد الإنسان نفسه غير منسجم مع المجتمع ومع العالم المحيط به فإنه يشعر بالغربة، وهو حالة من عدم الاتزان الداخلي، لأن الإنسان في تلك المرحلة يكابد المشاعر المختلفة والمختلطة في آن واحد؛ فيشعر باختلافه الحتمي سواء من حيث العادات أو التقاليد أو الثقافة العامة أو الديانة _في بعض الأحيان_، ومن ناحية أخرى فإنه يكابد شعوره بالحنين المستمر للوطن الأم.

[1] الرازي، محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح / ص40

[2] الشبلي، عبيدة: شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث / مركز حرمون للدراسات المعاصرة _دراسات في الأدب والفن / 22 حزيران_ يونيو 2018م /ص3

المطلب الأول : الغربة الذاتية وأبعادها النفسية ::
ومن ذلك قصيدة الهوني (تهنئة صديق)، التي يقول فيها:

سُرِرْتُ وعهـدي بالسـرورِ بعيـدُ	**وقلبـي لآفـاتِ الزمـانِ طَريـدُ**
سُرِرْتُ لأمرٍ حَلَّ في وَسْطِ خاطري	**فَأَفْعَمَهُ بالفَرَحِ وهـو نَكِيـدُ**
تَكِيدُ له الأيامُ فـي كُـلِّ ساعةٍ	**فَيَطْغَـى عليه تـارةً ويـزيدُ**
سَيُرغِمُ هذا الدَّهـرُ والناسُ قَبْلَـهُ	**وعنـه حُثَالاتُ الأنامِ يَـذُودُ**
أيا قلبُ مَهْـلاً فالحـوادثُ جَمّـةٌ	**وأنتَ لعمـري في البلاءِ وَحِيـدُ**
سوى ذلكَ الردِّ الـذي قد أَلِفْتَـهُ	**وهـذا كبيرٌ وَحْدَهُ وشَـديدُ**[3]

في قصيدة الهوني، ومع أن موضوع القصيدة تهنئة لأحد أصدقائه، إلا أن الحالة النفسية والشعورية للشاعر جعلته يوشحها بوشاح من الأسى والحزن، حتى إن المقدمة كانت أطول من الموضوع الرئيس نفسه؛ ومرد ذلك حالة الاغتراب النفسي التي يعيشها الشاعر، حيث أنه جعل من ذاته محوراً للصراع النفسي والعاطفي، فعهده بالسرور بعيد، وفي هذا دلالة على عمق الأثر النفسي للشاعر، فأتت القصيدة بطابع من التضاد النفسي للشاعر مع ذاته.
مما لا شك فيه أن الشاعر تختلط عليه في الغربة المشاعر، بين الشوق والحنين، وبين الواقع والخيال، أي أن المشاعر نفسها تحمل الكثير من المتناقضات النفسية في آنٍ واحد، والشاعر وحده هو من يستطيع صوغ المتناقضات وفق بناءٍ متناقض متناسق، " وهو لا يحاول نقلها على حالتها الطبيعية وإلا نَدّتْ عن حدود الأدب والشعر، وهو يراها بفكره، ويتأملها ويحولها إلى مادة تعبيرية، عن جهاد وعمل ومثابرة، لا عن مجرد استسلام للخيال والأحلام "[4] وهذا ما نجده عند المهدوي، الذي يقول:

تكاملَ حَـوْلٌ منذُ فـارقتُ أوطاني	**فما نِلْتُ في أثنائـهِ، غيرَ أَحْـزانِ**
نوىً قُذِفَتْ، زَمَّتْ رِكابي، وَلَمْ تَزَلْ	**تُقَلْقِلُ بي حتى أتتْ أرضَ جيجانِ**
فألقتْ عصا التسيار فـي شِرّ بقعةٍ	**تألبَ فـي أرجائِها شَـرُّ سُكانِ**
تركتُ بـلادي، اذ شَعَـرْتُ بأنّنـي	**سألقى صَغَاراً، مِنْه يأنفُ وجداني**
وَسِرْتُ لأرضٍ غَيْرِ أرضي، مُؤَمِّلاً	**لِعِزٍّ، فكـانا فـي المُصِيبَـةِ سِيّانِ**
فيا خيبةَ المَسْعَى، إلـى غَيْرِ مَوْئِلٍ	**مِنَ النَّجْحِ مَشْفُوعٌ بأعظمِ خُسْرانِ**[5]

يتضاد المهدوي في هذه القصيدة مع ذاته، مع ما كان يتوقعه وما وجده في الغربة، من وحشة وشعور بعدم الانتماء للمكان وللسكان، فكان شعوره بخيبة الأمل كبيراً، مصحوباً بالشوق والحنين، خاصةً وأن مسعاه قد خاب فلم يجد إلا الخسران والأوهام، وليعق المعنى اعتمد على صيغة الجمع في قوله " أوطاني " فالوطن بحروفه الثلاثة لا يعكس مدى شوق الشاعر وحنينه، وما يعتريه من " أحزان "، وكذلك في قوله " شر سكان "، فالشاعر لا يشعر بالإنتماء اطلاقاً لأنه وجد نفسه في شر بقعة وشر سكان، أما الأساليب الفنية فاعتمد الشاعر على أسلوب التكرار من مثل قوله " شر بقعة وشر سكان " ليعكس عمق الفجوة بينه وبين

[3] الهوني، ديوان إبراهيم / ج 2 –ص78
[4] هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث /ص361
[5] المهدوي، أحمد رفيق: ديوان شاعر الوطن الكبير _ الفترة الثالثة_65_1946م_ الطبعة الأولى طُبع على نفقة وزارة العمل والشئون الاجتماعية بالمملكة الليبية المتحدة _ المطبعة الأهلية _ بنغازي1382_ 1962 ص7

البلاد التي هاجر إليها، وفي قوله " سرت لأرضٍ، غير أرضي " فكل أرض هي غريبة عن الشاعر وهو غريب عنها، ثم وظف أسلوب النداء في قوله " فيا خيبة المسعى " فالخيبة قريبة ملازمة للشاعر، مقترنة بالخسران، ويستمر بعرض الثنائيات يقول:

فقدتُ بلادي، وهي عندي عـزيزةٌ ... وَلَمْ ألقَ ما أمّلتُ فـي بلـدٍ ثـاني
كأني غُرابُ البَيْنِ، ضَيَّـعَ مَشْيَـهُ ... وَلَمْ يكتسبْ مَشْـيَ الحَمـامِ بإتقـانِ
حنيناً، وشوقاً يا بـلادي، فإنـني ... وإن طالَ عنكِ العَهْدُ لَسْتُ بِخـوّانِ
فما كان بُعـدي عَنْـكِ، إلا ترفعـاً ... عَنِ الضَّيمِ، لا بُغْضَاً ولا قَصْدَ هُجْرانِ
وإني لأكْمـي في الجَوانِح لَوْعَـةً ... لِحُبّكِ، يُوريها على البُعْـدِ تَحْنَـانِي
إذا خَفّفَ الدَّمْعُ الأسى، فمدامعـي ... لَهَا وَقْدَةٌ، زادتْ أساياَ وأَشْجـانِـي
كَمَا كانَ عَذْبُ الماءِ في الجِـيْرِ مُنْشِئَاً ... ،على خَصَرٍ فيه، حَـرارةَ نِـيرانِ [6]

الظلم في الوطن، والشوق في الغربة، ومشاعر تتراوح بين الأمل واليأس، هذا المعني الذي استطاع المهدوي أن يبرزه من خلال التضاد الموضوعي، والذي _برأيي_ لا يمكن أن يأتِ بهذا العمق الا بهذا الاسلوب، " أما عن الصور البيانية فقد شبّه الشاعر نفسه بالغراب، والغراب في التراث يرمز للفقد والاغتراب والفراق والحزن، ووظفه الشاعر لفقد الهوية والشعور بالغربة والضياع، كما وظّف الحمام الذي جاء به الشاعر كرمز للرقة والسلام والألفة، فرمز به الشاعر إلى الانتماء المفقود بسبب الاغتراب وهذا التشبيه يعكس ويعبر عن عدم تقبل الشاعر لحياته الجديدة، ثم الاستعارة المتمثلة في قوله " يُوريها " فالإيراء لا يكون إلا للنار، ولكن الشاعر استعاره للحب والشوق، ليجسد من خلال الاستعارة التضاد المتمثل بين " أُكمي " الذي يحمل معنى الإخفاء وبين " يُوريها" الذي يحمل معنى الإظهار، فما يخفيه من شوق يظهر من خلال حنينه لموطنه، ثم عزز المعنى بتقابل آخر تمثل في قوله " خفّف "و " زادت "، فمن عادة الشعراء أنهم يذكرون أن دموعهم تخفف أحزانهم، أما المهدوي فكان على عكسهم فإن دموعه تزيد من وقدة الأسى والأشجان، ثم شبه أدمعه وشدة جريانها باستمرار بالماء العذب الذي يترك أثراً، لأنه يجري دائماً، أما التقابل فكان بين البرودة والحرارة، حرارة الشوق التي تترك أثراً واضحاً في نفس الإنسان.

المطلب الثاني : الحنين والشكوى :

إن عادة وصف الحضارات في البلدان الأخرى هي عادة قديمة في الشعر العربي، وقد أطلق عليه قديماً (أدب الرحلة)، وهو أدب: القصد منه تزويد البلد الأم بأهم معالم الحضارة وأهم العلوم في البلدان المختلفة التي زارها الأديب، فيصفها وصفاً دقيقاً، وينقل أخبارها وأحوال الناس فيها، ويصف ما لها وما عليها بمعنى أنه يذكر الإيجابيات والسلبيات في البلد الذي زاره، أو الذي تحدث عنه.

وممن اعتمد على وصف الحضارات وإبراز محاسن ومساوئ الغرب: أحمد الفقيه حسن، في قصيدة له اختار لها اسم إيطاليا كعنوان لوصفه لتلك البلاد، يقول:

إذا بلـد فيـه النعـيم المجـدد ... وإلا بـه بـؤس يقـوم ويقعـد
وايطاليا ذي جَنـةٌ أَمْ جهـنمٌ ... ففيها من الأضـدادِ ما هو يَشْهَـدُ
بلادٌ حَبَاها اللهُ أَجْمَـلَ حِلْيَـةٍ ... مِنَ الحُسْنِ لكنْ حَظّها منه أَسْـوَدُ
ترى الأرضَ تختالُ ازدهاراً بِخُضْرةٍ ... وفي طَيّها نَفْـعٌ ولكـنْ مُحَـدّدُ
فبينا يُـرى فيها الغِـنى بين أهلهـا ... إذ الفقـرُ في أرجـائها يترصّـدُ
حيـاةٌ بأطوارِ الحَضارةِ قَدْ بَـدَتْ ... وناسٌ لَهُمْ فيهـا مَـرَاح وَمَشْهَـدُ

[6] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان -ف 3 / ص8

فبالجدّ قومٌ مـــن بنيهـــا توسّمـــوا وبالهَزْلِ منهم مَعْشَرٌ قـــد تفـرّدوا
وَكُلٌّ لـــه في مَنْهَجِ العَيْشِ شِـــرْعَـــةٌ له غايـــةٌ يسعـــى إليهـــا وَيَقْصُـــدُ
فَكَمْ مـــن مُجِدٍّ شِمّـــرى مُنَاضِلٍ وَكَمْ مِنْ خامِلٍ فيها يُرى وهو أَنْكَدُ
وَكَمْ مـــن ظَرِيفٍ رَقَّ لُطْفاً حَدِيْثُهُ وَفَظٌّ غَلِيظُ الطّبعِ قـــاسٍ يُعَـــرْبِدُ[7]

لقد دفعه شوقه للوطن ان يعبر عنه بقصيدته هذه ، وكأنه أراد أن يقول: تمهّل يا من تدفعك الدهشة والاعجاب بإيطاليا فهي كغيرها من البلدان أناسها منهم الخيِّرُ، ومنهم ما دون ذلك، فكأنه اتخذ من ايطاليا رمزاً ليناقش من خلاله موضوع بناء الوطن الأم والرفع من مكانته، والأخذ بالنموذج الأول (الذي يمثل إيجابيات إيطاليا) حافزاً لهم، وبطبيعة الحال فإن النموذج الثاني هو ما يريد الشاعر أن ينأ بقومه عن التخلق بأخلاقهم، لأن ذلك يقودهم بالتالي للتأخر والتخلف، وهذا ما يعالجه الشاعر ، أما مايُؤخذ على الشاعر فهو الفائض اللغوي في قوله (و يقصدُ) لأن (يسعى) هي ذاتها يقصد لها ذات الدلالة والمضمون، ولكننا نظن أن الشاعر جاء بهذه اللفظة للقافية ليس إلا.

وفي قصيدة الهوني التي تحمل عنوان (إلى أبي من طبرق)، يعرض لصفات الشوق والحنين، يقول:

إَلاْ أَبْلِغ الأحبـــابَ عَنّـــي تحيـــةً مُعَطّرةً بالمِسْـــكِ والعَنْـــبَرِ والنّـــدِّ
وَقُلْ حـــينَ تلقاهمْ تركتُ حبيبَكُمْ كئيباً ولكـــنَّ الكـــآبةَ لا تُجْـــدي
ولا تنسَ أَنْ تحكي لهـــم كلمـــا رأت عُيُوْنُـــكَ مِنْ حالِ المُمَـــزّقِ بالبُعْـــدِ
أنا بعدهمْ أبكـي الدّمـــوعَ تَحَسُّـــرًا فيا هَلْ تَرَى الأحبابَ ما فعلوا بَعدي؟
إذا جَنَّ ليلـــي تعـــتريني وَسَـــاوِسٌ ويمضي نهاري لا أَعِيْـــدُ وَلاْ أَبْـــدِي
قضى دهـــرِيَ الجاني عليَّ بِبُعْـــدِكُمْ وعذّبني فـــي النـــاسِ بالهَجَـــرِ والصَدِ
أَحِنُّ إليكـــم كُلَّ وقـــتٍ وساعـــةٍ أشتاقكم شَوْقَ العِطاشِ إلـــى الـوِرْدِ
متى تَسْمَحُ الأقدارُ يومـــاً بِقُربكـــمْ أَقَبّلُ أيديكـــمْ وأفرشكـــم خَـــدّي
أقولُ لقلبـــي اتركِ الحـــزْنَ والأســـى فعمـــا قليلٍ تنتهـــي مِحْنَـــةَ البُعْـــدِ[8]

فالحنين والشوق لا يأتِ إلا نتيجة الابتعاد، وكذا التحيات والسلام لا تُرسل إلا لمن نتغرب عنهم، ولا يمكن أن يخلّف البعد الا الدموع والحسرات، فيمضي الليل كما النهار بلا طعم ولا نملك الا الدموع تحسراً، في هذا المعني استطاع أن يصوغ إبراهيم الهوني كل هذه المعاني، بشيء من التكثيف والتعميق الدلالي، ثم شبه شوقه بشوق العطاش إلى الورد، إلا أن الشاعر وقع في أخطاء لغوية، تمثلت بالفائض اللغوي من دون جدوى، من مثل قوله (الدموع) لأن في قوله (أبكي) دلالة على الدموع، فلم نجد للدموع فائدة فنية أبداً، وكذلك في قوله (وساعة) مكررة من دون جدوى، لأن الوقت يدل على الساعة، والساعة جزء من الوقت فذكره للوقت لايحمل دلالة فنية.

وأحمد الشارف في قصيدته التي حملة عنوان " العدل وحق الشعب" صوّر وعبَّر عن مشاعره المضطربة، تجاه الوطن وما يعانيه من ظلم حكومة المحتل من جهة، ومن الأمل المنشود من الشعب للجهاد والدفاع عن الوطن من جهة أخرى، يقول:

أينما كنتِ يا ابنـــةَ الحـــي عنيّ في مَسَاءٍ ورجّعي فـــي صَبَـــاح
وارفعي صوتَكِ الشَّجِيَّ علـــى قيثـــ ـارةِ الفَـــنّ بين رَوْح ورَاح

[7] حسن، أحمد الفقيه: الديوان / ص328
[8] الهوني، ديوان ابراهيم ج 2 ص71

واملئي السَّمْعَ من حوادثِ عَصْرٍ رَكِبَ الجيشُ فيه مَتْنَ الرياح [9]

فقد استهل الشاعر قصيدته باسلوب النداء، لشدّ انتباه المتلقي، والنداء موجهٌ للمرأة، التي جاء بها كرمز للوطن، فجاء النداء غير محدد لمرأة بعينها، إنما هو رمز عام، كما وإن الحي عام وغير محدد كذلك، وذلك دلالة على أن دعوته إنما هي لكل حي في البلاد لينهض ويثور ضد المحتل، أما الغناء فالمقصود منه التحفيز للقتال والجهاد، فهو يستحث ويحث الشعب من خلال الأغاني الحماسية، ومن المعروف تأثير مثل هذه الأغاني والأناشيد على نفوس الناس، فتثير حماستهم للقتال، واختار من آلات العزف للغناء القيثارة، وهو اختيار لم يكن اعتباطياً أبداً، بل إن الشارف قد اختار القيثارة كرمز للأصالة العربية، من خلال اختياره لألة موسيقية تعبر عن الحضارة العربية العريقة.

وهو من خلال هذا الاستهلال قام باستباق الأحداث من خلال التنبؤ بانتصار المجاهدين، وبتفاؤل واستبشار بحال أفضل، يقول:

بَلَغَ الأمـــرُ فيـــه مـبلغَ جِـدٍّ والأمـــاني بالجِـدّ لا بالمُـزاح
يَوْمَ صاحَ الزمانُ صيحةَ غضْبانَ يرى الحُـلمَ فيـــه غيرَ مُبـــاح
يوم قامَ النفوذُ يكتسحُ الأرضَ ليشفـــي الغليـلَ بالاكتســـاح
وذواتُ البخارِ شـــرقاً وغـــرباً فـي صُرَاخ من هولها وصياح [10]

فيصوّر وعود الاحتلال الكاذبة، وأفعالها الظالمة، ثم استعار صفتي الصياح والغضب للزمان ليجسّد من خلالهما بشاعة ظلم الاحتلال، فهو يرى أن الحلم المُباح لم يتحقق، لأنه لا يتحقق الا بالجدّ، والمقصود بالجد هنا القتال والجهاد، لأنه أمر حتمي لما تسبب به المحتل من الدمار والفساد، يقول:

وغدتْ فيـه حاملاتُ المنايا فـــي غُـدُوٍّ وتارة فـــي رَوَاح
لَمْ تكنْ للبقاءِ جاءتْ ولكنْ لفنـــاءِ الأرواح والأشـــبـــاح
لَمْ تدعْ في الجيوشِ غيرَ أسيرٍ أو جـــريح أو مثخـــنٍ بـجـراح
وإذا فُوجِـــئَ الخَـلِيُّ بإنـذارٍ تلاشى فـي ساعـــةِ الأفـــراح [11]

فاعتمد الشاعر على تصوير شعوره في الأبيات السابقة، واصفاً شناعة ووحشية الاحتلال، فشبه أسطولهم بحاملات المنايا، لحصدها أرواح الناس في الغدو والرواح، على عكس أقوالهم ووعودهم لحياة أفضل، ثم أنه اختار هذه الفترات من الوقت، الغدو وهو الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس، والرواح الوقت الممتد من زوال الشمس إلى الليل، ليرمز من خلالها على عتمة تلك النوايا السوداوية، أو هي فترة الراحة للناس، فإن كان العدو يباغتهم بهذه الأوقات فإن ذلك يدل على انعدام راحتهم بوجوده.

ثم ينتقل ليفنّد ادعائهم بالحفاظ على أرواح الناس، بأنهم أفنوا أرواحهم، الا أننا نرى أن الشاعر لم يكن موفقاً في اختياره للفظ الأشباح؛ ذلك أن اللفظ إنما يدل على طيف الأرواح الشريرة، أو هي روح الشخص أو الحيوان المتوفى، فهي غالباً ما ترتبط بالخوف والرعب، فكيف يحصد الاحتلال الأرواح المتوفاة مسبقاً ؟ ثم أن الاحتلال لم يأتِ _كما عبّر الشاعر_ لتخليص الناس من الشرور، إنما هي من ساهم في انتشارها، فلم يكن الاختيار موفقاً، واغلب الظن أنه جاء به من أجل القافية ليس إلا.

ثم يستمر في وصف وانتقاد الوضع يقول:

---

[9] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص118
[10] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص118
[11] المصدر نفسه / ص118

قَدْ أُهِينتْ خزائنُ المالِ والإنـــ ـتاج في نَفَقَـاتِ ذاكَ الكفاح
أدواتُ الفلاحِ قَلّتْ وقَـلّ النّفْـ ـــعُ مِـــنْ تاجرٍ ومِنْ فَـلّاح
وغدا كـُـلُّ صَاحبٍ وخَليـلٍ واجـــمَ القلبِ زائـدَ الأتـراح
كُـــلُّ جَوٍّ وكُلُّ بَرٍّ وبـَحْـــرٍ لا تـرى فيه غَيْرَ شاكي السّـلاح
فانتهى الأمرُ بينَ نَصْرٍ وَخُـذْلا نٍ وضَعْفِ القوى وكَسْرِ الجَنَاح
كيفَ ينجو من المصائبِ شَعْبٌ أمـــرُهُ تـــحتَ حاكمٍ سَفّـــاح
لم يكنْ يُحْسِنُ السياسةَ في أمرٍ علـــى خُسْرٍ أم على الأرباح[12]

فقد صوّر الفساد الذي ساد فترة حكم الاحتلال بقوله: " أُهينت خزائن المال والإنتاج"، كناية عن الضرر الذي لحق بكليهما، أما قوله "ذاك الكفاح" فكذلك نرى أنه لم يكن اختياراً موفقاً، فالكفاح إنما يدل عن النضال، ومحاربة الفساد، فكيف تكون خزائن المال قد أهينت من أجل الكفاح ! ونحن نظن أنما الشاعر قصد القتال وليس الكفاح، الا أن اختياره وقع على الفلاح لملائمة القافية.
أما في قوله " قلة النفع والفلاح " إنما يكون ذلك كنتيجة حتمية لزيادة الفساد، وغياب الفرح يأتي نتيجة لزيادة الأتراح، حيث عمل على اظهار المعنى من النقيض أو الضد، وذلك من خلال السياق العام للنص.
ومن ثم يعود الشاعر للتنبؤ المشرق مجدداً، يقول:

هكذا كل مـــن نراه جموحـاً ينتهي أمـره بـــردّ الجمـــاح
إن سر النجاح في قـوة الجيـــ ـش وفي المال كان سر النجاح
و دوام النجاح أن يتمـــادى الـــ ـعدل فـي ظل مـجده الفياح
إنمـــا ينـــزل النـــكال بـــقـوم قـــد أخلوا بخطة الإصـــلاح
هـــذه ليبيا تؤمـــل حـــقـاً يتجلـــى بنـــوره الـــــوضـــاح
ومن العـــدل أن تنال مصـــيراً يجعل الشعب في مراقي الفلاح[13]

فيعود من جديد إلى العدل والإنصاف والنجاح والإصلاح، ولكن من منظور متفائل بغدٍ أفضل، فبؤرة التضاد في القصيدة يكمن بين الحال والمستقبل، المستقبل الذي يستشعر من خلاله العدل والإنصاف، والحاضر الذي يمثل الظلم والاضطهاد، فيحاول الشاعر التنكر منه وتغييره، والثورة عليه من أجل المستقبل المأمول، الذي يتجلى فيه العدل الحقيقي، وليس العدل المزيف الذي يدّعيه الاحتلال.

المطلب الثاني: المكان و دوره في تشكيل الغربة :

أولاً: غربة: المكان :

الغربة هي الابتعاد عن أرض الوطن فهي " النزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو دعائية "[14].
ولكن الإنسان ما يؤثر فيه أكثر من النزوح هو شعوره بالاختلاف وعدم الانتماء في المجتمع الجديد، ولذلك نجد من يعرف الغربة بالانعزال عن المجتمع، فالدكتور يوسف عز الدين يعرّف الغربة بقوله: " الغربة هي

[12] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص119
[13] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص119
[14] شهاب، رافد سالم سرحان: أثر الغربة والاغتراب في شعر الجواهري (دراسة تحليلية) / ص113

الاحساس الداخلي بأن الفرد معزول عن المجتمع الذي يعيش فيه، بما يراه بعيداً عن عاداته وتقاليده، وطراز حياته الذي ألفه في وطنه، وأحياناً في أشكال الناس ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية "[15].
فتتجسد الغربة في معاني عدم التوافق مع المجتمع المحيط، كما ترى الدكتورة أحلام الزعيم بأن الغربة هي " تصدع الذات ذات الفرد، وانشقاقها نتيجة عدم تواؤمها مع المجتمع والعالم المحيط بها" [16]
دائماً ما يحمل العيد معاني الفرح والسرور والبهجة، ولذا أتخذ الشاعر أحمد رفيق المهدوي منه مناسبة للحديث عن القضية الفلسطينية، والوطن العربي كوحدة قومية واحدة، فأتخذ من العيد رمزاً للتنديد بمعاناة الشعوب العربية، التي يقول في مطلعها:

أما زال للأعياد، في الشرق، رونق وتونس، في سيل من الدم، تغرق[17]

فقد بدأ القصيدة بأسلوب الاستفهام الانكاري، أما زال للأعياد في الشرق رونق، وكأنه يستنكر ممَّن يحتفلون بالعيد أو على الأقل يشعرون بطعم السعادة فيه، وتونس في سيل من الدم تغرق، فهنا ثنائية من الفرح والحزن، وعلى غرار هذه الثنائية يستكمل المهدوي القصيدة بأكملها، يقول:

أبـــعد فـــلسطين الشهيدة ! عندنـــا سرور بعيد نحن بالحزن أخلـــق!
فلسطين، في الأعماق، مـــا زال جرحهـــا يعج دمـــــاً، أو أدمعاً تترقرق![18]

وعندما يتعلق الأمر بفلسطين فإن الشعور أعمق من الحزن، شعور الفقد والموت أكثر مرارة من الحزن، فكيف لمن ابُتلي بالفقد أن يفرح بالعيد أو أن يشعر به، يقول:

متى يشعر الشرق، المفـــرق شملـــه بـــمـــا قـد جنـــاه شمله المتفـــرق!
وحتى متى يغتر بالغرب، بعـــد مـا بدا واضحاً، منه، الـخـــداع المـــزوق
فلسطين، لولا الغرب، ما جاس حولها لشـــذاذ اســرائيل شـعـــب مـلفق
ولا صار ذكـــر(اللاجئين) إذا مـــا إلـــى عـــربي، قـلبـــه يتمـــزق
متى يستفيق الشـــرق؟ أي مصيبـــة تؤثر فـــي احساســـــه فيحقق
متى يقتدى فـــي فعلـــه (بمصدق) فقد ضرب الأمثال، فعلاً، (مصدق)
وحقـــق أن الـــحق يعلو وأنـــه وان جار، حيناً، باطل سوف يزهـق[19]

في هذه الأبيات ينتقل الشاعر إلي ثنائيات جديدة، هي: الوحدة والفرقة، اليقظة والغفلة، الحق والباطل، وكل هذه الثُنائيات إنما تدور في فلك واحد، وهو الإطار العام للقصيدة من بدايتها آلا وهو الفرح والحزن، وكرر أداة الا ستفهام (متى) لشد انتباه المتلقي، وللتحذير من الفرقة، ولذلك عمد إلى تكرارها أيضاً (المفرق شمله - شمله المفرق)، يقول:

فلسطين لَمَّا يندمل بعد جرحها وها هو (في الخضراء) آخر يفهَق !
شقيقتنا، بنت العروبة، تونس تقلّب، في جمر الطغاة، وتحـــرق!
يضام بها الشعب المطالب حقه ويعدم رميا، بالرصاص، ويشنق
وان الفرنسيين، أول قـــائـــل بحريـــة الأنـــسان، زور منمق ![20]

[15] مساعدية، لزهر: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي / دار الخلدونية _ الطبعة 1434هـ_2013م_ القبة القديمة _ الجزائر/ ص61
[20] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان - ف 4/ ص240_ 241

[17] المهدوي، أحمد رفيق: ديوان شاعر الوطن الكبير_ الفترتان الرابعة والأخيرة_ من 46-1961م_ص239
[18] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان - ف 4_ص239
[19] المصدر نفسه/ ص240
[20] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان - ف 4/ ص240_ 241

يعود الشاعر من جديد للحديث عن ثنائية الوحدة والفرقة، والقوة والضعف، "ويكشف التضاد عن حدة التوتر بين الاطراف، وعن توتر الذات وقلقها وعن تأملات فلسفية عميقة في الحياة، عبر الجمع بين الأضداد في مجال دلالي واحد " [21]يقول:

بعيد، عن الحرية، الجائر الـذي ... يجور على حـرية الناس يحنـق
ألا أيها الشـرق أنتبة !ان تونسـا ... عليها جميـع الغرب، بالجور، مطبق
اذا لـم تدافع (كتلة عربيـة) ... يـقام لها ميزانها حـين تَحْنـق !
ويتحد الشـرق الضعيـف فـانه ... علـى ضعفه، بالاتـحاد يوفـق
فما حيلـة الشعب، المجاهد، وحده ... (ألا ان كفا وحدها لا تصفق)
ولم يبق، سراً، ما يكنـون نحـونا ... فما فعلـوه في فلسطين ينطـق !
يوارون عنا، بالصداقة، حقـدهم ... وما فيهمـو الا عـدو محقـق [22]

يتكلم الشاعر عن ثنائية جديدة، هي الخوف والأمان، حيث يدعوا الشاعر إلى التيقظ، وعدم تصديق الادعاءات الزائفة، والصداقة المزيفة، لان ما يحدث في فلسطين يفند كل هذه الادعاءات، فالصداقة هنا انما هي عداوة في حقيقتها.
وفي قصيدة أخرى للمهدوي يكاد يتناول الموضوع ذاته، حيث ينتفض على المجتمع محرضاً ومذكراً له بمؤامرات الغرب والآعيبة، طالباً منه النهوض صفاً واحداً ضد ما يُبيت للشرق من مؤامرات ومحاولات لاستعباده، يقول:

نستقبل العام، بعد العام، بالخطب ... ونكثر القول في التهـريج والشغـب !
تغرنا، من أحاديث المنى، خـدع ... نميل، منها، إلى التصـديق بالكـذب !
ما زال منا، على المهدي، متكـل ... يراقب العجب المزعـوم فـي رجـب !
فلا تـصدق بأبنـاء، ولا كتـب ... (السيف أصـدق أنبـاء مـن الكتب)[23]

حيث يستهل قصيدته " عام جديد " بالتذكير بتوالي الوعود تبعاً لتوالي الأعوام، عام بعد عام لم يشهد خلالها الشاعر الا الخطب، والاكثار من الوعود دون نتيجة، فيدعوا إلى دحض الادعاءات الزائفة، وعدم الانجرار وراء الخدع وتصديق الأكاذيب، ثم أنه يعتمد في تعزيز ثورته على التيارين الديني، والتاريخي، فأما الديني فهو يُفّند الرواية التي تدّعي نزول المهدي المنتظر في آخر الزمان ليخلّص الناس من شرورهم، ويسعى ليعم العدل والأمان الأرض قاطبة، فيشبه حال الناس بتصديق وعود الغرب الزائفة برواية المهدي المنظر المزعومة.
وأما المرجع التاريخي فمتمثل في استشهاده بصدر بيت قصيدة أبو تمام التي قالها بمناسبة فتح عمورية، والشاهد في قوله أن الانتصار لا يكون إلا بالسيف، ثم يمضي في القصيدة بنفس النهج يقول:

يمر عـام فعـام ! لا نـقـيم لـه ... وزنا، ولا نجتـني منه سـوى تعب !
لأجـل ما مـر، من اوقاتنا، عبثـًا ... قال الذي قال (ان الوقت من ذهـب)
قد ضاع من عمرنا، عام، وأكسبنـا ... ما لا يطاق ! من الأحداث والكـرب !
تكفى فلسطين ! ان شئت الدليل على ... ما كان في عامنا الماضي من النـوب![24]

---

[21] الجداونة، حسين: جدلية التضاد في الموروث البلاغي والنقدي / ص25
[23] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان - ف 4 / ص 147
[24] المصدر نفسه / ص148

وعلى الرغم من أن لفظ " العام " في العاد ة يدل على الأزمنة التي يكون فيها سير الأيام على وتيرة طبيعية واعتيادية، الا أن الشاعر استخدمه لأنه أراد أن يبالغ في وصف الحال السيئة التي هو عليها، فجعل الشيء الحسن في غير موضعه؛ فالعام الدال على وجود الخير ووجوبه أصبح دالاً على عكسه، لأنه لا يحمل الا التعب، وربما مرد ذلك أن الشاعر يجهل الفرق بين العام والسنة، فتداخل عنده المعنيان، أو أنه جاء "بالعام " للتفاؤل والاستبشار، ثم أننا وجدنا أن لفظ " العام " ملائم للوزن العروضي، على عكس لفظ " السنة " التي يختل الوزن بها، على الرغم منها أكثر ملائمة من حيث الدلالة.

ثم جاء بالمثل " الوقت من ذهب " متهكماً على عبثية الناس واستهانتهم بتعاقب الأزمنة، عاماً بعد عام دون تغير الحال، بل على العكس تتعاقب الأعوام لتزداد الأحداث والكرب، ثم يستحضر حال فلسطين، وعدم تغير حالها ما بين عام مضى وعام جديد لم يستجد فيه من الوضع شيء ! فيصف حالها بقوله:

ضاعت فلسطين ! لا بالسيف من يدنا ... لكن بأصبع غـدار ومنسحـــب !
ضاعت بأيدي رجال لا مرام لهـم ... الا الحصول على الأموال والــرتب !
لوعد (بلفور) ! ألقت بينهم وسعت ... بنار فتنتها ! (حمالــة الحـطــب)!
قــد فرقتنا، ومــا زالــت تفرقنــا، ... عدوة الشرق والاسلام والعــرب !
مشروع (بيفن وسفورزا) أبان لنا ... ما أضمرته، وما تخفيــه من ريب ![25]

بحيث ينتقد الشاعر المجتمع ككل محملاً إياه مسؤولية التخاذل عن نصرة فلسطين، فيثور على من لا يسعون إلا في جمع الأموال والرتب، ثم يشبه من يصدق بوعد (بلفور) بزوجة أبي لهب الملّقبة بحمالة الحطب، لأذيتها للرسول – صلى الله عليه وسلم- ووجه الشبه الأذى والفساد في الأرض، فكذلك الغرب الذي يضمر ويظهر الفساد، ولذلك يدعوا الشاعر الناس لتغيير الأوضاع والثورة عليها، يقول:

فكيف نطمع، يوما، في صداقتها ... من بعد ما ساومت فينــا لمغتصـــب !
وها هي اليوم ! جدَّت في تلاعبها ... (تأتى جديداتها من أوجه اللعـــب) !
سقى لتوقعنا ! فـــي فخ حيلتها ... كمشرف، أو وصى، أو كمنتـــدب !
ومن مظاهر مــا تخفيه من حيل ... ما أسدلته، على الدستور، من حجب ![26]

فيكمل ثورته على بريطانيا ويسعى لكشف الاعيبها، وذلك من خلال اعتماده على الثنائيات الضدية التالية: فالصداقة لا تكون مع من يصادق العدو، الذي وصفه الشاعر بالمغتصب، ليحشد من خلال اللفظ معاني الإكراه والانتهاز والوحشية. ..، ثم يقابل بين حالها في الأمس وحالها اليوم الذي لم يتغير فيه التلاعب والتحايل، غير أنه أتى بوجه جديد مخادع، أما الثنائية الثانية فكانت لذكره عما تخفيه من التلاعب والحيل، وما تظهره من الوصاية والإشراف، فالبؤرة الضدية بين ما تضمره وما تظهره من مفارقة جوهرية، مفادها اظهار التودد واخفاء الحيل والتلاعب.

المطلب الثاني : غربة الذات وأبعادها النفسية "الاغتراب":

إذا وصل الشاعر لمرحلة الاغتراب في وطنه، فهذا يدل على أقصى درجات الاختلاف الفكري، والشعور بالنفور النفسي، بينه وبين المجتمع باسره، فيلجأ (للعزلة الفكرية) _ إن صح هذا التعبير_ لأنه يرى أنه لا يتلاءم مع أقرانه فكرياً، وعاطفياً، ونفسياً. ..الخ، حيث يعني الاغتراب " شعور الفرد بالانفصال عن

[24] المصدر نفسه / ص148
[25] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان - ف 4 / ص148
[26] المهدوي، أحمد رفيق: الديوان - ف 4 / ص149

جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين أو القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع أو عن السلطة الحاكمة، فينتج عن ذلك إحساس بالألم والحسرة أو بالتشاؤم واليأس وبالتالي ينتج عن ذلك _أحياناً_ سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة "[27]

ومن صور الاغتراب أن يشعر الشاعر بًاختلافه وعدم توافقه مع المجتمع ككل، وذلك كقصيدة إبراهيم الهوني التي تحمل عنوان (الخل الوفي)، والعنوان بحد ذاته يحمل مدلولاً عكسياً لدى الشاعر، فلم يعد هناك خل وفي ! أو أنه لاوجود لهم من الأساس _ على حد تعبير الشاعر- يقول:

سألت الناس عن خل وفـــي ... فقالوا ما إلى هذا سبيـــل
لقد صدقوا فما في الناس خـــل ... خصوصاً في الشدائد يستحيل
يصاحبك العدو على يســـار ... وإن أعسرت يجفوك الخليـل
وإن أسديت معروفاً لقـــوم ... تذم ويحمد الرجل البخيـل
على طول التجارب ما رأينا ... خليلاً في الشـدائد يستميـــل [28]

فنلاحظ أن الشاعر قد تعرَّض في قصيدته، لنقد ظاهرة اجتماعية وهي (الأصدقاء المزيفون)، إن أمكننا تسميتهم بهذا الاسم، وهم من يتغير ودهم على حسب تغير حالك، لان ودهم متصنع .

فالاغتراب دائماً ما يدل على نفسية ناقمة على المجتمع برمته، فرأي الشاعر – في الغالب – يختلف كليةً عن رأي مجتمعه، فلا يكون منه إلا الخروج عن آرائهم، ومحاولة اثبات وجهة نظره، وهذا ما نجده عند أحمد الشارف، في قصيدته " ضعتم وضعنا "، فبإمكاننا أن نستشف رأي الشاعر من عنوان القصيدة، الذي يعبر صراحةً عن تضاده الواضح مع المجتمع، فيمثل تضارب الآراء واختلافها بكل ما تختزنه كلمة " الضياع " من معاني اليأس والتشتت، ولذا وقع اختيار الشاعر لها كذلك للاستهلال بالقصيدة، يقول:

ضِعْتُمْ وضِعنَا كما ضاعتْ قوافيـــنا ... بها سَعَيْنا وقد خـابتْ مَسَاعِينـــا
هِمْتُمْ بواديكُمَ فـــي كـــلِّ ناحيـةٍ ... بدونِ جَدوى كما هِمْنَـــا بِوَادينا
وَكَمْ تناولتِ الأسماعُ مـــنْ حِكَـــمٍ ... ضَاعتْ وإنْ لم تَضِعْ نَظْماً وتَلْحِيْنَا
كالزينفونِ فَلَـــمْ يُوجَدْ لَـــهُ أَثَـــرٌ ... وإنْ وَجَدْنَا لـــه في الوَضْعِ تَلوينـــا
وَهَلْ يَشُـــوقُ الذي غابتْ مَدَارِكُـهُ ... نَوْحُ الحمامِ وأَصْـــواتُ المُغَنّينا [29]

فذكره للضياع وتكراره لها يولّد لها شحنة عاطفية مشبعة بالأسى، تنم عن عدم تقبل الشاعر للمجتمع، وتضاده العلني معه، وخيبة الأمل التي نستشفها من قوله: "خابت مساعينا"، فالسعي أصبح دون جدوى، لكلٍ من الشاعر والمجتمع على حدٍ سواء، فقوله: " همتم بواديكم " أكد من خلالها معنى عدم الفلاح عند كليهما، وضياع الحِكم إنما يكمن في التخلي عن مضمونها وعدم الأخذ بها، فباتت موجودة على ألسن الناس فقط، دون العمل بها، فصار وجودها وضياعها سيان، حيث تحمل (ضاعت ولم تضع) تناقضاً ظاهرياً، فهي ضاعت ولم تضع، ضاعت قيمتها والعبرة فيها، ولم تضع لأنها مازالت منظومة مسطّرة.

" كالزينفون " وهو حكيم من حكماء اليونان، تتلمذ على يد سقراط، وكتب عنه وله مؤلفات عدة في الحكمة، ولم يأخذ عنه الناس من حكمته شيئاً، فأصبح حال الناس في غياب الحكمة في حياتهم، كمن غاب عنه عقله؛ فهل يشتاق فاقد العقل للغناء أو نوح الحمام ؟.

---

[27] مساعدية، لزهر: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي / ص93
[28] الهوني، إبراهيم: الديوان _ ج 2 _ص29_30
[29] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص126

أن الشاعر قد اتكأ على توظيف أسلوب التكرار لتعزيز الموضوع وتعميقه، وذلك في مثل تكراره (للضياع) في قوله: " ضعتم، وضعنا، ضاعت، ضاعت، لم تضع " وقد استثمر الشاعر هذا التكرار لتأكيد التضاد الشعري، وكذلك قوله: "سعينا، وخابت مساعينا، همتم، همنا" وهذا يجعل النص متوازياً،وفيه إبراز للتناقض بين السعي والإخفاق وكذلك الأمر في " بواديكم، بوادينا " وكل هذا التكرار ليس مجرد إعادة لفظية لا طائل تحتها، وإنما استخدمه الشاعر لتعميق المفارقة

فهو ينعى واقعه ويرى أنه لم يتبقَ من الحكمة الا النغم، ويستمر ناقماً على هذه الحال، يقول:

فَلَمْ يَكُـنْ عندنا مـا ليسَ عِنْدَكُمُ وَلَـمْ يكنْ فيكمُ ما لم يَكُنْ فينـــا
حَقيقةٌ قد سرى طَيْفُ الخيالِ بهـــا رؤيا لقد جِيءَ فيها كـــابنِ سيرينا
فمالنا غَيْـــرُ أَحْـــلامٍ تُسَاوِرُنَـــا يوماً فيومـــاً فَـــمَا نِلْنَا أَمَـــانِينَـــا
فصابروا واصبروا فيمـــا يَهُمّكـــمُ فالصَبْرُ مِنْ حُسْنِ أَخْلاقِ المُصَابِينَا
إنْ كانَ من لا يساوي نصفَ خَرْدَلَةٍ كمـــا تقولونَ قد أضحى أفنديناً [30]

فحال الشاعر وحال الناس من حوله واحدة، عبر عنها بقوله لم يكن فيكم ما لم يكن فينا، وهي حقيقة جلية، كالرؤى التي يفسرها ابن سيرين، إذ انه أشتهر بتفسيره للرؤيا والأحلام، ثم يأتي بالنقيض إذ أنه لم تتوفر لهم الا الأحلام والأماني التي لم تتحقق، فلم يكن من الشاعر إلا أن يدعوهم للصبر، ثم ولأنه يعي قيمة الصبر قام بتكراره ثلاث مرات في بيت واحد، بثلاث صِيغ مختلفة، ليعكس من خلالها حجم المعاناة، مصحوباً بفضل الصبر، وكيف لا والصبر من أخلاق المصابينا!.

ثم ينتقل للحديث عن بعض صور هذا المصاب، عن طريق عرضه للمشكل ثم عرض نقيضه، فمن لا يساوي نصف خردلة كناية عن التحقير، أضحي أفندي، وفي ذلك غاية المفارقة، ثم يستمر بعرض مثل هذه الصور يقول:

فـــرُبَّ خَرْدَلَـــةٍ تَمـتَدُّ قيمتُهـــا من الثمـــانِ إلى نـــحـــوِ الثمانينا
قَدْ يَرْفَعُ اللهُ قوماً بـــعد وَضْعِهمُ وقد يُرى العكسُ والتاريخُ ينبينـــا
فكم شياطينَ قد صاروا ذوي نسك وكمْ مِنْ ذوي نسكٍ صاروا شَياطينا
وسُوْقةٍ مالتِ الأيامُ نـــــحوَهمُ صاروا مُلُوكاً وقد كانوا مسَاكينـــا
وكم ترى القوسَ في أيديهمُ وقعـــتْ ولم يكونوا لتلك القـوسِ بارينا
وكـــم يدٌ نالتِ التقبيلَ مـــن فنةٍ وَهُمْ على قطعِها كانوا مُصرّينا[31]

فينتقد المجتمع من خلال عرضه لمجموعة النقائض والأضداد، حيث تتغير قيمة الأشياء، من الأدنى إلى الأعلى من معرفة سبب منطقي لذلك، فقد يرتفع شان الأقوام وقد يهوى، كذلك في قوله " فكم من شياطين.." كناية عن الفساد العام الذي ساد المجتمع، تِبعاً لتغير الأحوال من دون وجه حق، الذي عبر عنه في الأبيات الأخرى سواء بتغير حال المساكين الذين صاروا ملوكاً، أو اصحاب المناصب الذين عبّر عنهم الشارف بقوله: " يد نالت التقبيل " كناية عن التعالي والتكبر، ولتعميق الدلالة اعتمد على استخدام التكرار، فتكرار (الشياطين -ذوي نسك) جاء به لتعزيز التناقض بين حالين متضادين هما الإصلاح والفساد، وتكراره (القوس) لإبراز المفارقة الزمنية بين امتلاك القوس وفقدانها لتأكيد التضاد بين القوة والضعف، وتكرار (كم) و(قد) في بدايات الجمل، كم تفيد الكثرة، وقد تفيد التحقيق، وهذا يفيدنا أن هذه الأمثلة من المتناقضات كثيرة وحقيقية، فالتضاد يكمن بين الرفعة والانحطاط، وبين التقوى والفسوق، وبالإضافة إلى البعد المعنوي

[30] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص126
[31] الشارف، احمد: دراسة وديوان / ص126

لهذا التكرار فهو يمثل ايقاعاً موسيقياً وتناغماً صوتياً يعزز من قوة المعاني المتضادة، وكذلك لموسيقا الحروف أثر في تدعيم بيان المعاني المتضادة فمثلاً في البيت الأول (قد يرفع الله قوماً بعد وضعهم) نجد أن الحروف المجهورة حرف القاف في (قد - قوماً) وهذا يعكس جرساً قوياً ينسجم مع معنى الرفعة، وفي المقابل نجد الحروف المهموسة مثل (الكاف - السين) في (وقد كانوا مساكينا) فهذان الحرفان يسهمان في إبراز معنى الهدوء والانخفاض، ثم يمضي على نفس النهج يقول:

وهكذا كل من تشتد وطأتــه ... فكل من تحته كانوا مطيعينـــــا
فما الزمان بآتٍ فـي تطــوره ... بكـــل ما كان يرضيكم ويرضينـــا
وهكذا الدهر دوماً في تلونـــه ... والدهر ما زال كالحـــرباء تلوينـا
فتارة بذوي الألقاب يضحكنـــا ... وتارة بـــــذوي الألقاب يبكينـــا
وأقرب الناس نفعاً من لهم رتب ... في حـــــب أنفسهم ليسوا مغالينا[32]

فهي كسلسلة متواصلة من الحِكم، وكأن الشاعر اختصر من خلالها خبرته في الحياة، فصاغها في هذه القصيدة، ومع هذا فإننا نرى أن هذه الحِكم لا يجمع بينها إلا الوزن والقافية، فلا نرى هناك من داعٍ لنثرها داخل القصيدة بهذا الشكل العشوائي، دونما يكون لها من مغزى حقيقي، الا أن ما يهمنا في هذه الحِكم هي صياغتها عن طريق اسلوب التضاد، وذلك على النحو التالي: وأول هذه الصور هي صورة الحاكم والمطيع، ليبين من خلالها الفوارق الأساسية بين فئتين متناقضتين تماماً، ثم يذكر تقلب احوال الزمان، فما كان مُرضياً قد ينعكس مع الأيام فيتغير الحال إلى حال آخر، لأن الدهر متلون متغير، ثم شبّههُ بالحرباء نتيجة لتغيره، غير أننا نرى في ذلك من سوء التأدب مع الله عزَّ وجلّ الكثير، لأن الانسان العاقل لا يسب الدهر ولا يُلقي باللائمة عليه إذا تعسرت أموره، بل إنه يسلم بقضاء الله وقدره، ويؤمن بأن تصريف الأمور وتغير الأحوال إنما هي بيد الواحد القهّار.

و يُمثل لهذا التغيير بقوله " فتارة بذوي الألقاب يضحكنا، وتارة بذوي الألقاب يبكينا " ليحشِّد من خلال كلمتي الضحك والبكاء المعاني المتناقضة لحالتين متقابلتين تنمان عن مواقف عديدة متناقضة كذلك.

ثم يستذكر الماضي ليبني من خلاله الثُّنائية الضدية التالية، التي اركزت على اساس التقابل بين الماضي والحاضر، يقول:

آها وآها لأيام إذا ذُكـــرت ... يوماً ذكـــرنا بـــها الغـــر الميامينـا
بقوة العزم والإيمان قد ربحـــوا ... ملكـــاً فما خســـروا دنيا ولا دينا
لولا جهاد مضى منهم وتضحيـــة ... في الحق لم يجدوا في الأرض تمكينا
واليوم توجد أوضاع لنا حدثت ... بعيدة الشكل عن أوضاع ماضينا
في كل مملكة من نفسها شغب ... (وكل قطر لنا أضحى فلسطينـــا)[33]

فالماضي يمثل الجانب المشرق، يتبين ذلك من انتقاء الشاعر للفظ "آه "، وتكراره له، ليرمز من خلاله عن الهوَّة الزمنية، وما نتج عنها من هوّة اجتماعية شاسعة، بين الماضي والحاضر، فيرى الشاعر أن الماضي عريق للحد الذي يجعله يتحسر عليه، وعلى أجداده الذين وصفهم بالغرّ الميامين، وقوة الإيمان والعزم والجهاد، ثم صوّر الحاضر الذي يحمل النقيض، والضدَّ الذي يسعى الشاعر لتغييره والثورة عليه، إلا أنه في قوله (واليوم توجد أوضاع لنا حدثت بعيدة الشكل عن أوضاع ماضينا) نجد أن هذا التعبير بعيد عن

[32] الشارف، احمد: دراسة وديوان / ص127
[33] الشارف، احمد: دراسة وديوان / ص127

اللغة الشعرية، فالبيت برمته مصوغ بلغة عادية بعيدة عن الجوانب الفنية والمجاز والخيال، ثم يستمر في عرضه للموضوع يقول:

نشكو ونصرخ من ظلـــم ألمَّ بنـــا ... والظلم لم يأت إلا من مساوينا
فمالنا مـن عـــــدو غير أنفسنـــا ... صارت بأيدي سوانا لا بأيدينا
لا خيبَّ الله حسن الظن في ملأ ... لصالح الشعب لازالوا مجدّينـــا
لم يقطعوا السير في تحقيق وحدتهم ... وأمنهم من دخول الأجنبينـا
لولا كفاح مضى منهم لما صبحوا ... للأغلبيـــــة حكم المستقلينا [34]

فالظلم الذي يمثل الحاضر جاء بعد العدل في الماضي، وكذلك العداوة التي وُجدت في الحاضر كانت تمثل الأخوة والمحبة، ولذلك عمد الشاعر الشاعر إلى تكراره لتعزيز المعنى، أما في قوله " فما لنا من عدو غير أنفسنا إلى نهاية البيت " فهو يتناص فيه مع قول الإمام الشافعي في قوله:

نَعِيـبُ زَمَانَنَا والعَيْبُ فِينَـــا ... وَمَـــا لِزَمَانِنَا عَيْب سِـــوَانَا
وَنَهجُو ذَا الزَّمَانَ بِغير ذَنْبٍ ... وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَـا
فَدُنْيَانَا التَّصَنَّعُ والتَّرائي ... ونَحْنُ بِهِ نُخادِعُ مَنْ يَرانا [35]

فتأثر الشاعر بالشافعي واضح، حتى إن المعنى يكاد يكون هو ذاته عند كلاً من الشاعرين، فحسبك أن يكون أسوء ما في زماننا نحن.
أما ختام القصيدة فتعمَّد الشاعر أن يكون باسلوب متفائل بغد مشرق، يقول:

للشعب حق وحق الشعب يضمنـه ... عـــدل الولاة وصدق المستشارينا
ونخبة من شباب العصر صادقـــة ... تعطـــي لمستقبـــل الأيام تحسينـــا
فالحكم ما كان من أهليه منتظمـــاً ... بالقســـط إن وضعوا فيه الموازينا
وأشبه الناس بالأموات من نشأوا ... في عصرهم تحت ضغط المستبدينا
إن الأعزاء من ماتوا بعزّهـــــم ... وما سواهم من القـــوم الأذلينا [36]

بالمستقبل جاء بعد استحضاره للماضي، وما يحمله من بطولات ومقارعة ومعاني عميقة، مشرفة وذلك لكي يُضفي على الحاضر صفة امتداد للماضي الذي يحمل معنى المواجهة، اما المستقبل فيمثّل نقطة التحول الكبرى، ذلك أن القضية التي يدافع عنها الشاعر " الثورة والتغيير " يكون البطل فيها؛ يتمثل في الشعب بالكامل، وإن رمز له الشاعر بالشباب لأنهم من يناضل ويحارب ويقوم بالتغيير. ..الخ، فالشعب الذي حارب سابقاً وتقدم وازدهر هو نفس الشعب فامتداداته واضحة ومعلومة، وإن كان الحاضر يفتقدها، فلابد أن تتحقق

---

[34] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص127
[35] الشافعي، ديوان الإمام / جمعه وحققه وشرحه الدكتور: اميل بديع يعقوب / الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت / الطبعة الثالثة - 1416هـ - 1996م / ص137
[36] الشارف، أحمد: دراسة وديوان / ص127

في المستقبل، لأن في اغلب قصائد المواجهة مع الشعب – يكون الانتصار الفعلي للبطل الجماعي، وهذا ما يؤكده التاريخ وهذا بالفعل ما أراد الشاعر تأكيده من خلال استرجاع الماضي.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى أنّ الغربة في الشعر الكلاسيكي الليبي ليست حالة عابرة أو موضوعًا ثانويًا، بل هي تجربة إنسانية عميقة شكّلت أحد المرتكزات الأساسية في البناء الشعري، واتخذت أبعادًا متعددة تجاوزت الغربة المكانية إلى غربةٍ نفسية ووجودية عبّر من خلالها الشاعر عن قلقه الداخلي، وصراعه مع الواقع، وشعوره بفقدان الانتماء. وقد أظهرت النصوص المدروسة أنّ الشاعر الليبي كان واعيًا بجدلية العلاقة بين الذات والمكان، فجاء المكان في شعره رمزًا للذاكرة والهوية والحنين، كما تحوّلت الغربة إلى أداة فنية للكشف عن مكنونات النفس وتوتراتها الوجدانية.

وبيّن التحليل أنّ الشعراء اعتمدوا على وسائل فنية وأساليب بلاغية متنوّعة، كالتضاد، والتكرار، والرمز، والصور البيانية، لتكثيف دلالة الغربة وتعميق أثرها الشعوري، مما أكسب النصوص بعدًا إنسانيًا يتجاوز الخصوصية المحلية إلى فضاء إنساني أوسع. كما اتّضح أنّ الغربة أسهمت في إثراء الخطاب الشعري الليبي، إذ منحت التجربة الشعرية صدقًا عاطفيًا وعمقًا فكريًا، وجعلت القصيدة مجالًا للتعبير عن الحنين، والشكوى، والرفض، والأمل في آنٍ واحد.

وعليه، فإن دراسة الغربة في الشعر الكلاسيكي الليبي تكشف عن وعيٍ مبكر بقضايا الذات والهوية والمكان، وتبرز قدرة الشاعر الليبي على تحويل المعاناة الفردية إلى خطاب شعري ذي قيمة جمالية ودلالية. ويوصي البحث بفتح آفاق دراسية لاحقة تُعنى بمقارنة تجربة الغربة في الشعر الليبي بنظيراتها في الشعر العربي، أو تتبّع تحوّلاتها في الشعر الليبي الحديث، لما في ذلك من إسهام في تعميق فهم هذه الظاهرة وإبراز مكانتها في الأدب العربي عمومًا.

المصادر والمراجع :

-الجداونة ، حسين : جدلية التضاد في الموروث البلاغي والنقدي / الطبعة الأولى 2022م--إربد - الأردن

--حسن ، أحمد الفقيه : ديوان - أشرف على طبعه وعلق عليه بقلمه الشاعر نفسه / الطبعة الأولى / على نفقة وزارة الاعلام والثقافة - حقوق الطبع محفوظة للؤلف 1386هـ -1966م .

-الرازي ، محمد ابن أبي بكر بن عبدالقادر : مختار الصحاح

-الشارف ، أحمد : دراسة و ديوان - علي مصطفى المصراتي (يتضمن قصائد لم تُنشر في الطبعات السابقة) - الطبعة الثالثة أي النار 1430ميلادية 2000- دار الكتب الوطنية بنغازي - الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والاعلان .

-الشافعي ، ديوان الإمام جمعه وحققه وشرحه : اميل بديع يعقوب / الناشر دار الكتاب العربي - بيروت / الطبعة الثالثة - 1416هـ - 1996م.

الشبلي ، عبيدة : شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث / مركز حرمون للدراسات المعاصرة - دراسات في الأدب و الفن / 22 حزيران - يونيو 2018م.

شهاب ، رافد سالم سرحان : أثر الغربة والاغتراب في شعر الجواهري (دراسة تحليلية) مجلة التقني - المجلد السادس والعشرون - العدد السادس 2013م.

- مساعدية ، لزهر : نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي / دار الخلدونية - الطبعة 1434هـ - 2013م / القبة القديمة - الجائر.

-المهدوي ، أحمد رفيق : ديوان شاعر الوطن الكبير - الفترة الثالثة -65--1946م/ الطبعة الأولى طُبع على نفقة وزارة العمل والشئون الاجتماعية بالمملكة الليبية المتحدة - المطبعة الأهلية - بنغازي 1382 - 1962.

- المهدوي ، أحمد رفيق : ديوان شاعر الوطن الكبير - الفترتان الرابعة والأخيرة من 46-1961م.
-هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث / أكتوبر 1997م - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
.
-الهوني ، إبراهيم الديوان الجزء الثاني / جمعه وحققه وقدم له قريرة زرقون نصر / الطبعة الأولى 1376
و. ر- 2008 مسيحي / دار الكتب الوطنية بنغازي / أكاديمية الفكر الجماهيري - قصر الثقافة - قصر
الشعب / طرابلس - الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى .

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JLABW** and/or the editor(s). **JLABW** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.